

مع أن الأديان تتحدث عن قيمة التواضع الفكري، لكن قد يصعب على رجال الدين بشكل خاص تطبيق ما يدعون إليه الناس



كونك زعيمًا (رجلًا) دينيًا يعني أنك تقوم بأدوار مختلفة. وفي بعض الأحيان، أتباعهم (أو رعاياهم) يتوقعون

منهم أن تزرع خطب هؤلاء الزعماء فيهم الثقة والحماسة - أي يكونوا قدوة صالحة للإيمان والقوة. لكن القيادة الحكيمة تعني أيضًا أن تكون قائدًا تتحلى بالاستماع لآراء الآخرين وتكون على استعداد لتغيير رأيك فيما يتعلق بقيادة الجماعة والأتباع والرعايا إلى بر الأمان أثناء الأزمات والقدرة على الإقناع لو حدث أن شك أحدهم في معتقداته التي كان يؤمن بها من قبل.

ويبدو أن أولئك الزعماء الذين يستطيعون موازنة هذه التوترات بشكل فعال يتحلون بفضيلة أساسية وهي التواضع الفكري (1 - 6).

باحث علم النفس داريل فان تونجيرين [Daryl Van Tongeren](#) وزملاؤه يعرفون هذه الفضيلة بأنها "تواضع المرء بمحدوديات أفكاره، أو قناعاته، أو وجهات نظره، أو قدراته (7)". على المستوى الشخصي، يتضمن هذا الاستعداد للاعتراف بمحدودية قدراته، إلى جانب الانفتاح على مراجعة قناعاته لو تبينت له أدلة أو قرائن جديدة. التواضع الفكري من شأنه أن يساعده أيضًا على تسهيل الأمر فيما يتعلق باحترام من يخالفه في وجهات نظره والاهتمام بتثقيف نفسه والتعلم من غيره [أخذ آراء غيره في الاعتبار] أكثر من اهتمامه وانصابه على إثبات إنه "على صواب وغيره على خطأ".

قد يكون هذا الانفتاح صعبًا بشكل خاص على الزعماء الدينيين (رجال الدين). التقاليد الدينية تعتبر التواضع فضيلة، بيد أن الكثير من هؤلاء الزعماء يتوقعون من أتباعهم أن يأخذوا بتعاليمهم بلا خوف؛ وهو ما يسميه الباحثون "مفارقة التواضع والتدين (8)". في بعض الأحيان، القناعات الشخصية القوية تجاه الاعتراف بوجهات النظر الأخرى أو النظر في الأدلة المضادة أمر صعب. وينطبق هذا بشكل خاص على رجال الدين، الذين يُتوقع منهم أن يكونوا قدوة حسنة في الدعوة إلى معتقداتهم.

ولكن بإمكان الزعماء الدينيين أيضًا أن يكونوا قدوة حسنة للتواضع الفكري، وذلك بفضل دراستهم المعمقة للتقاليد والنصوص المقدسة، إلى جانب حجم المعاناة الإنسانية التي يشهدونها في أتباعهم. كما أن الكثير منهم يتوسطون في النزاعات والخلافات واختلاف وجهات النظر بين أتباعهم.

باعتبارنا علماء نفس وباحثين، فإننا نقود مشروعًا بحثيًا يتناول التواضع الفكري والدين في "العالم الحقيقي" (9).

كن متفتح الذهن

ولنأخذ مثلاً مارتن لوثر كينغ جونيور. فقد استمع إلى الواعظ والناشط وإلى زعماء العديد من التقاليد الدينية (10) وتعلم منهم وصادقهم — مثل الحاخام أبراهام جوشوا هيشل Hesche Joshua Abraham Rabbi والراهب البوذي ثيش نهات هانه Hanh Nhat Thich — الذين استفادوا من تعاليمهم وأدرجها في حركة الحقوق المدنية التي قادها.

تدعم الأبحاث مدى أهمية هذا النوع من التواضع الفكري في الحوار بين الأديان وتحقيق العدالة الاجتماعية. وجدت دراسة علم النفس أن الطلاب في المعاهد اللاهوتية المسيحية ذكروا أن من يتحلى بالتواضع الفكري من رجال الدين أكثر التزامًا باحترام التنوع وتعزيز العدالة الاجتماعية واحتواء الآخرين (11). على سبيل المثال، القادة الأكثر تواضعًا من الناحية الفكرية في التدريب يقولون إنهم أكثر التزامًا بالعمل ضد العنصرية وممارسة التمييز ضد المرأة والفقراء.

يمكن للتواضع الفكري أيضًا أن يساعد الزعماء الدينيين على اجتياز المواقف الصعبة في عملهم (12). لقد وجدت الدراسات أنه كلما اعتقد الشخص أن زعيمه الديني أكثر تواضعًا من الناحية الفكرية كلما كان أكثر احتمالًا في العفو عنه ومسامحته (13)، خاصة عندما يتعلق الأمر بالخلافات حول القيم الدينية. من المرجح أيضًا أن يشعر الأتباع بالرضا عن قيادة رجال الدين إذا كان هؤلاء الزعماء متواضعين من الناحية الفكرية (14).



الحديث الاختلافات في الرأي حول النصوص والتقاليد الدينية قد تشكل جانبًا رئيسيًا من عمل رجال الدين

غالبًا ما يناقش الأتباع قضايا الصحة العقلية (النفسية) مع رجال الدين، لكن بعض الجماعات الدينية مترددة في التوصية بهذا العلاج أو دمج علم النفس في عملهم. بيد أن دراسة أجريت على ما يقرب من 400 من رجال الدين، وجدت أنه كلما كانوا أكثر تواضعًا من الناحية الفكرية كلما كانوا أكثر انفتاحًا على دمج علم النفس في الخدمة الدينية (15) - مما يعني أنهم قد يكونون أكثر تسامحًا في تقديم الدعم الروحي في الوقت الذي لا يجدون مشكلة أو بأسًا في مساعدة الرعايا أيضًا في الاستفادة من الدعم المهني للصحة العقلية.

أسئلة مؤلمة

ومن ناحية أخرى، قد يكون دور رجال الدين في بعض الأحيان في حالة توتر مع التواضع الفكري.

أن يكون الزعيم متواضعًا فكريًا يعني أن يكون منفتحًا على تفاهات جديدة؛ لتعميق أو مراجعة المعتقدات. إن رجال الدين الذين هم أكثر وعيًا بالقيود الممكنة لمعتقداتهم هم أقل احتمالًا لاعتبار أنفسهم أفضل من الآخرين، ووفقًا لدراسة أجريت على حوالي 250 من رجال الدين (16).

ومع ذلك، وجد الباحثون في تلك الدراسة أيضًا أن هذا النوع من الوعي يمكن أن يدفع رجال الدين إلى الشعور بالقلق والشك في علاقتهم با.

إن التشكيك الجاد في المعتقدات الدينية قد يكون مرهقًا من الناحية النفسية لأي شخص. وينطبق هذا بشكل خاص على زعيم الجماعة، وهو شخص ينظر إليه الأعضاء والأتباع كمثال للإيمان والاعتقاد الراسخ. ويتجلى هذا التحدي بشكل خاص في المجتمعات أو المواقف التي يُتوقع من القادة أن يكونوا ثابتين فيها على معتقداتهم ولا يُرحب فيها بالتساؤل أو إعادة النظر - الأمر الذي يمكن أن يزيد من سوء الصيت والسمعة والخوف والعزلة للمشككين في عقيدتهم.



هذه ليست القصة الكاملة، رغم ذلك. كأى فضيلة، للتواضع أبعاد كثيرة، وبعضها يمكن أن تساعد في تخفيف القلق النفسي الذي يأتي مع التشكيك في المعتقدات. ووفقًا لنفس الدراسة (15) التي أجريت على رجال الدين في الولايات المتحدة، فإن التواضع الفكري (1 - 5) - أي التواضع في الأفكار - من غير المرجح أن يجعلك تشعر بعدم الأمان لو أبديت التواضع بطرق أخرى أيضًا، سواء أكان من خلال احترام الآخرين أو بإدراك الذات (16، 17).

ملعون إذا فعلت، ملعون إذا لم تفعل

يمكن أن تكون ممارسة التواضع الفكري أكثر صعوبة بالنسبة للزعيمات الدينيات (من الإناث)، أو من الملونين، أو أي شخص آخر غير موثوق به ليتولى منصبًا قياديًا.

من المرجح أن يُطعن في قدرات هؤلاء، وغالبًا ما يُتوقع منهم أن يكونوا خائعين أذلاء. النساء، على سبيل المثال، يتعلمن الوجه الخانع المطيع من التواضع: أي تكون المرأة محتشمة ومراعية لشعور الآخرين وهادئة. ووفقا لدراسات علم النفس، تستهين النساء عادةً بذكائهن وقدراتهن الفكرية، بينما يبالغ الرجال في تقدير ذكائهم وقدراتهم الفكرية (18).

وللتخلص من هذه الصور النمطية، قد تشعر القيادات النسائية بالحاجة إلى أن تكون حازمات بشكل خاص. لكن نفس التصرفات التي قد تعتبر مطهرًا من مظاهر الثقة في الرجل قد تُعتبر مطهرًا من مظاهر الغطرسة في المرأة. ومن ناحية أخرى، فإن إظهار التواضع الفكري السليم - أي الانفتاح على الآخر وإدراك الذات واحترام الآخرين - يمكن أن يُنظر إليه على أنه "ليِّن" أو غير حاسم في قراراته. قد يرحب الزعيم المتواضع من الناحية الفكرية بوجهات نظر متعددة حول قرار جماعي للأتباع أو الرعايا، في حين قد يتوقع بعض الأعضاء من ذلك الزعيم أن يعزز رؤيته الخاصة بقوة.

يقول الباحث في علم اللاهوت تشوي هي آن An Hee Choi إن التمييز على أساس الجنس يجعل من المستحيل تقريديًا على النساء ممارسة التواضع الفكري داخل الجماعات الدينية حيث يُنظر إلى الذكاء نفسه على أنه امتياز مقدس وقوة موهوبة للرجال من قبل [19] (19) وحيث تُحجب الأدوار القيادية عن النساء عادةً. من الصعب أن تتمتع المرأة بتواضع فكري سليم في مكان لا تتمتع فيه بأي تمكين، كما لو كانت في بيئة لا تتلقى الدعم فيها ليكون لها رأيها الخاص بها أو تتمكن من أن تتخذ قراراتها.

لا تنجح المرأة كزعيم ديني في هذه السياقات. فهي ملعونة لو تصرفت وملعونة لو لم تتصرف.

ونظرًا لهذه الصعوبات، فإننا نتناول حاليًا دراسة أنواع المهارات والذهنيات التي يمكن أن تساعد الزعماء الدينيين على ممارسة التواضع الفكري. لكن الأمر لا يعتمد على الأفراد فحسب، بل يعتمد أيضًا على المجتمعات والتجمعات المحيطة بهم ورعاياهم (وأتباعهم).